المراسلات العثمانية

يضمّ هذا الرصيد الّذي يتكوّن أساسًا من مراسلات، إلى جانب عدد من التقارير والوثائق القضائية والإدارية ما يناهز ألف وستمائة واثنتان وأربعون وثيقة، تمثّل أربعمائة وثمان ثلاثون وثيقة منها الرصيد القديم بالمكتبة الوطنية الجزائرية، وهي موزّعة على خمس مجموعات تشكّل كلّ منها ملفًا مستقلاً، وهي الّتي تحمل الأرقام التالية : 1641، 1642، 1903، 2316، 3203 ؛ وتمثّل ألف و ستّ و ثمانون وثيقة الرصيد الجديد الّذي حصلت عليه المكتبة الوطنية، أو بالأحرى أعيد إليها مؤخّرًا، وهو رصيد المستشرق دلفان (Delphin)، وهي موزّعة على اثني عشر ملفًا توجد ضمن خمس مجموعات تحمل الأرقام التالية : 3190/ملفان، و 3204/ملفان، و 3205/ثلاثة ملفات، و 3206/ثلاثة ملفات، و 3207/ملفان.

فأمّا وثائق مجموعات الرصيد القديم، فجميعها أصلية ما عدا المجموعة رقم 1641 الّتي يوجد بها بعض الوثائق فقط أصلية، في حين أنّ أكثرها وثائق منقولة من أصول مفقودة ؛ وأمّا وثائق رصيد دلفان، فليست أصلية كما اعتقد البعض من هشاشة ورقها والتلف الّذي أصاب بعضها، وإنّما كلّها تقريبًا هي نسخ منقولة من أصول، فبعضها نسخ لوثائق عربية أصلاً، وبعضها الآخر عبارة عن ترجمة عربية لوثائق تركية مفقودة. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الرصيد ما هو إلاّ النزر اليسير من أصل عشرات آلاف الوثائق العثمانية الّتي كانت محفوظة في دار الإمارة (قصر الجنينة، ومن ثمّ القصبة)، حيث نجت بأعجوبة من التلف والإهمال تحت الإدارة الفرنسية. وكان ديفو (Devoulx)، محافظ الأرشيف العربي بإدارة أملاك الدولة، الّذي بدّد قسمًا من تلك الوثائق، هو من أمر مترجمين محلّيين - محمّد بن مصطفى ومحمّد بن عثمان خوجة - بترجمة الأصول التركية إلى العربية ليتسنّى له معرفة محتواها واستخدامها في البحوث العديدة الّتي قام بها حول الجزائر في العهد العثماني.

٥٨

وفيما يتعلّق بأهمّية تلك الوثائق جميعها، فإنّه أمر لا يمكن إنكاره بأي حال من الحوال، لأنّ بواسطتها ستتضح لنا في المستقبل جوانب كثيرة من تاريخ الجزائر العثماني، خصوصًا أنّ عددًا من تلك الوثائق تعدّ نماذج فريدة من نوعها لا يعتقد وجود مثلها في أماكن أخرى. ومنها فرمانات تعيين ولاة الجزائر وتجديد الولاية لهم من الباب العالي، وأخرى تحتوي على أوامر إرسال السفن الجزائرية لتشارك في الحرب إلى جانب الأسطول العثماني، أو الإذن بتجنيد متطوّعين وإرسالهم إلى الجزائر. كما نجد قوائم للهدايا الّتي كان ولاة الجزائر يرسلونها إلى الباب العالي، ورسائل وصلت إليهم من أشخاص مقيمين بمكّة والمدينة لتدرج أسماؤهم ضمن قوائم المستفيدين من عوائد أوقاف الحرمين الشريفين، وأخرى وصلت إليهم من وكلائهم في المدن العثمانية ؛ وممّا يلفت الانتباه في هذا الصدد أنّ الجزائريين كانوا شديدي الحرص على تتبّع أخبار الأحداث في الدولة العثمانية ؛ وكان وكلاء الإيالة في إزمير وإستانبول والإسكندرية ومختلف المدن الأخرى يجمعون المعلومات حولها ويرسلونها في تقارير إلى الباشا ووزرائه في الجزائر. وإضافة إلى ذلك، هناك مراسلات البايات وقادة الحاميات العسكرية في الجزائر، ونجد وثائق أخرى عبارة عن رخص تسلّم للجنود لزيارة ذويهم في الأناضول، أو لأداء فريضة الحجّ، ووثائق تخصّ سندات شراء بعض السلع للجزائر من الخارج، وقوائم للعتاد الّذي كانت تقدّمه لها بعض الدول، وأخرى عبارة عن عهود أمان تتعلّق بالنظام الداخلي للجيش، وأخرى عبارة عن معاهدات مع بعض الدول. كما تمدّنا بعض تلك الوثائق بمعلومات تخصّ جوانب متنوّعة، على سبيل المثال المجلس العلمي في الجزائر ودوره في معالجة القضايا المرفوعة إليه، حيثيات العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الأزمة (1827-1830)، الوضع الاقتصادي الّذي كان سائدًا بالجزائر في تلك الفترة، نشاط بعض السفن الجزائرية في البحر المتوسّط، إلخ.

مجموعات المراسلات العثمانية :

- مجموعة رقم 1641 (1719-1783)، وهي عبارة عن 128 وثيقة بعضها منقول عن وثائق أصلية ؛ وهي في شكل رسائل وجّهت إلى وكيل الامتيازات الفرنسية أو مراسلات من باشوات الجزائر لقائد الحامية (آغا النوبة) بمدينة عنّابة.

- مجموعة رقم 1642 (1816-1830)، وهي 30 رسالة معظمها موجّهة من محمّد باي وأحمد باي بقسنطينة إلى حسين باشا بالجزائر.

- مجموعة رقم 1903 (1823-1830)، وهي حوالي 74 وثيقة أغلبها رسائل موجّهة إلى وكيل الحرج المكلّف بشؤون البحرية الجزائرية.

- مجموعة رقم 2316 (1787-1830)، وهي وثائق شرعية من محاكم خارج مدينة الجزائر في شأن الملكيات، وما يتعلّق بها من معاملات وإجراءات.

- مجموعة رقم 3190 (1748-1830)، وهي 479 وثيقة أغلبها مراسلات موجّهة إلى حكّام الجزائر.

- مجموعة رقم 3203 (1742-1843)، وهي 69 وثيقة تهمّ قضايا المعاملات التجارية داخل وخارج مدينة الجزائر.

- مجموعة رقم 3204 (1769-1830)، وهي 79 وثيقة موجّهة لباشوات الجزائر من جهات مختلفة.

- مجموعة رقم 3205 (1747-1830)، وهي 232 وثيقة منها مراسلات إلى حكّام الجزائر، وأحكام قضائية موزّعة على ثلاثة ملفات مستقلّة (120 و 55 و 57).

- مجموعة رقم 3206 (1810-1830)، تضمّ 137 وثيقة موزّعة على أربعة ملفات، وهي في مجملها مراسلات موجّهة من مختلف الجهات إلى حكّام الجزائر (الداي) ومساعديه (موظّفي الديوان).

- مجموعة رقم 2307، وهي عبارة عن ترجمات فرنسية لوثائق الملف الأوّل من المجموعة 3190 والملف الثاني من المجموعة 3206 ؛ وهي في مجموعها تؤلّف 336 وثيقة موزّعة على ثلاثة ملفات (300 و 22 و 14).

وفي الأخير، لا يسعنا سوى التنبيه على الخلل الّذي أمكن ملاحظته في مواقع كثيرة من تلك الوثائق، منها سقوط الكلمات، وأخطاء في كتابة التواريخ، والترجمات غير الوافية أو الخاطئة للعبارات، والقراءة غير الصحيحة لبعض الأسماء ونحو ذلك ؛ وأكثر ما نجد ذلك الخلل في الوثائق المترجمة إلى العربية عن الأصول التركية المفقودة.